دراسات فنية
مخبر الفنون والدراسات الثقافية
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
Algerian Scientific Journal Platform

المجلد:05 العدد: 02 (2020) ص97/108

المسرح الجامعي من تدريب الوعي إلى الاستشارة الاحترافية

University Theatre, Outreach Training To professional counselling

بن عزة أحمد

مخبر الفنون والدراسات الثقافية، قسم الفنون، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان(الجزائر)**ahmed.benazza@univ-tlemcen.dz**

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2020/11/26
تاريخ القبول:
2020/12/14

الكلمات المفتاحية:

- ✓ المسرح الجامعي
- ✓ النص المسرحي
- ✓ التعليم
- ✓ الأكاديمي

الملخص:

تكمن أهمية المسرح في نشر الوعي بين شرائح المجتمع، بطريقة إبداعية تترك في النفوس أثر جميل، وقد ومنه ما يعرف بالمسرح الجامعي الذي فرض نفسه في المؤسسات الجامعية كوسيلة من الوسائل التربوية والتعليمية، التي تهتم بتنمية الأسرة الجامعية، وأداة فاعلة، قادرة على الانتشار والتأثير مباشرة في الطالب الناشئ، كما يمكن من خلاله أيضا اكتشاف المواهب الجديدة، وفتح في كثير من الأحيان بوابة الاحترافية، قائمة على تدريب وتأهيل الكوادر البشرية بشكل احترافي، وعلى خوض تجارب وقبول دفعات من الشركاء في سبيل التطوير العالمي للمسرح لاسيما المعاصر منه، إذا ما توفرت لديه سبل التنظيم والاهتمام بشكل ملحوظ من القائمين والدارسين والباحثين الأكاديميين، تنظيرا وتطبيقا، تمكنه من خلق سلسلة لا متناهية من الرموز والثيمات والصور والتجريدات الذهنية والحسية...

Article info

Received
26/11/2020
Accepted
14/12/2020

***Keywords*:**

- ✓ *University Theatre,*
- ✓ *Theatrical Text*
- ✓ *Education*
- ✓ *Student*
- ✓ *Academic*

Abstract :

The importance of theater lies in raising awareness in different segments of society, in a creative way that leaves a beautiful effect in souls, and has generated in recent years what is called university theatre, which has established itself in academic institutions as a means of education, which is concerned with the development of the university family, and an effective tool , able to spread and influence directly in the emerging student, as well as can also discover new talents, and often open the portal of professionalism, based on training, qualification of human executives professionally, and to experiment and accept payments One of the partners of the global development of theater, especially contemporary, if it has the means of organization and attention significantly of academic leaders and researchers …

1 **المؤلف المرسل : بن عزة أحمد.**

المسرح الجامعي من تدريب الوعي إلى الاستشارة الاحترافية

مقدمة:

يؤدي المسرح دوراً مرموقاً بفضل الانفعال المضبوط لأداء الممثل من أجل التوجيه وانماء الادراك وبث الوعي في المتلقي، وعادة ما يتحقق التجاوز عن طريق معارضة الواقع واعادة النصوص المسرحية على حالتها الأصلية والابداعات السابقة، فالمسرح الجامعي حقيقةً يؤكد بشكل كبير، هوية هذا أو ذاك المجتمع، بل في الواقع فإنه أحس الطالب بضرورة مسايرة واقعه الراهن وما يصبو اليه من تطلعات نحو التغيير والتقدم، وإن دلّ ذلك على شيء، فهو يدل على مسائلة نفسه والبحث عن صيغة تميزه عن غيره عبر المسرح وتكسبه شكلا له خصوصيته الفنية والثقافية والوعي بأهمية دوره المجتمعي، وعليه وطالما أن المؤسسات الأكاديمية تضم الجامعات والمعاهد الفنية المتنوعة: المسرحية والسينمائية والتشكيلية والموسيقية، فإلى أي مدى بلغ المسرح الجامعي الأكاديمي في تنمية الحركة المسرحية وتطويرها؟

2. الماهية والنشأة:

لعلّ مقولة وليام شكسبير القائل (أعطني مسرحاً وخبزاً أعطك مجتمعاً عظيماً)، كانت تعني فيما تعنيه، بأن لهذا الفن من السحر والطاقة ما يكفي للتأثير على الجماهير وإعادة صياغة الفرد على نحو تجعله قادر، على إشباع حاجيات المجتمع الفكرية والنفسية والاجتماعية، لخلق التوازن لدى المتلقي وتكييفه مع الذات و الموضوع، وتحقيق النمو البيولوجي لديه، في أشدّ الأوقات ظلمة وفي أصعب الأزمنة احتكاكا وأعسر اللحظات اضطرابًا عند المتلقي من إطاره النظري وآليته الإجرائية، كما أننا " لا يمكن فصل الأدب المسرحي عن عملية اعادة إنتاجه عبر وسائل الاتصال ولا سيما الخشبة والعرض أمام الجمهور، وهنا نذكر تأسيس مسارح أخرى متعدّدة وانتظام عروضها في مواسم دورية مثل المسرح الجامعي الذي أعطى الحياة المسرحية حيوية دافقة ومواهب كثيرة، والمسرح الجوال ومسرح الهواة ومسرح الشبيبة"[1].

لعل الارتجال وبساطة الأداء في المسرح والظروف الاجتماعية والسياسية لا سيما بعد تحرر البلدان العربية من الاستعمار واعلاء شعارات القومية، زيادة على محاولة التعبير عن مظاهر الحياة وتطلعات الفرد، وقبول التمثيل في أقل الأماكن تجهيزا وبأقل التكاليف، كلها أو بعضها من الميزات التي احتاجها المسرح الجواري (مسرح الهواية والمسرح المدرسي ومسرح الشباب والطفل)، والطالب الجامعي العربي في مرحلة من مراحل تكوينه، ساعد في نشأة مسرحا نقديا، أفرزته الضرورة الملحة، إلى تأصيله انطلاقا من أبواب الجامعة، ثم إلى حرم الجامعات، ونحو الورشات والفرق المسرحية التي تنشط ضمن المؤسسات الجامعية، والمعاهد والمدارس العليا والكليات والأندية والمراكز الثقافية، وهو ما تؤكده الدراسات النقدية : أنه إذا ما أردنا معرفة مدى الوعي الاجتماعي لأي مجتمع ما عليك سوى مشاهدة ما يقدمه مسرح الجامعة، الذي بوسعه أن يمكن الباحث والناقد من معرفة كل شيء عن هذا المجتمع رقيه وازدهاره وذوقه ...، وهذا ما أثبته الكتاب المسرحيين في العالم والجزائر، بالأخص من خلال ملازمة المسرح لآلم ونكبات وويلات المجتمع الجزائري أثناء الحقبة الاستعمارية، وكذا الأمراض المتفشية بعد الاستقلال كالبيروقراطية والرشوة والمحسوبية والبطالة وغيرها من المواضيع النابعة من عمق البيئة الجزائرية.

انضم إلى هذا النوع من المسرح الجامعي، أساتذة وطلبة وباحثين في سبيل تحديد الروابط بين النص والحبكة الارتجالية والرسالة العفوية المقدمة، وغيرها من العناصر،" كما يأخذ المسرح الجامعي ثلاثة أشكال: شكل معرفي نظري خاص بطلبة اللغات ويهدف إلى التعريف بتاريخ المسرح ومعالجة النصوص الدرامية وتحليلها وشكل أكاديمي تطبيقي مختص في الفن الدرامي

في كل اختصاصاته بغية اعداد مدرسين واحترافيين في الاختصاص وآخر ابداعي تنشيطي، يسعى الى تنشيط الطلبة مسرحيا في شكل ورشات انتاج توجد داخل المؤسسات الجامعية، الذي يحتضن في الأيام الدراسية والتطبيقية وفي التظاهرات والمهرجانات، ذات الطابع الترفيهي والتكويني"[2]، فينتقل بنا هذا الحراك والتنوع في شكل صور الإمتاع والإقناع الفرجوي بأشكال كولاجية أو كليبات مجالات فنية أخرى كالأزياء والكوريغرافيا والسينوغرافيا...، تنشط الشارع وتحاور المارة، من أجل صناعة الفرجة والمتعة، واحضار الفنون في المعيش اليومي للمواطن، عبر صور وجماليات قولية موقعة أو مغناة، وصور حركية فيها من المهارة والبلاغة في التعبير، والمعني البليغ، الذي يتمحور حول أمثولة أو فزورة أو حزورة أو أحجية، وهو ما يستلفت النظرة السيميولوجية الناقدة التي توحي بإحداث الفرجة والمتعة، كتوجه نقدي وتكوين فكري جديد أخذ يتطور من خلاله المسرح، محتضناً في ثنايا تصميماته ومعالجته، خطابا تصنيفي ووصفي وتكويني على خشبة المسرح الجامعي.

تحت الضغوط الاجتماعية والدراسية خصوصا، وحُب الاطلاع على مستقبل خريجي الطلبة بوجه عام، وبما يحمله التخصص الدراسي الذي تتنازعه الأهواء والضغط الأسري والعادات والقيم الاجتماعية، تناول الطالب المسرح الجامعي، كوسيلة أسهمت في التعبير وتأسيس كامن يمتلك صيرورة، له أرضيته الاجتماعية والإيديولوجية، يتمظهر في إطار السرد والخطاب مسرحي، الذي يتميز بسلطة التأثير في المتلقي وفي الوعي عبر الحوار الاجتماعي، " فلقد كان الفن دائما والمسرح بصفة خاصة في مقدمة أسلحة التوعية الثورية، فهو يصور حياة القرية والمدينة، ويتعرض للعلاقات الجديدة في حياة العمال والفلاحين، وهذه حقيقة أدركتها الدول المتقدمة وحتى بعض الدول السائرة في طريق النمو فاتجهت إلى تشجيع الفرق الفنية الموجودة بها وأنشأت المعاهد لتدريس هذا الفن الحي لأبنائنا"[3]، من خلال تمرير رسائله و رغباته، خارج التقاليد الأدائية التمثيلية التي استقرت في المسرح، وبطاقة تَخَيّلِية و رؤيويه حديثة عن المجتمع الذي يعيش فيه، كفاعل ومنفعل في الوقت ذاته، " مثلما توصل إليه 'بريشت Brecht' في عملية الكشف عن هذه الصراعات والتناقضات الاجتماعية باستخدام الديالكتيك في المسرح، الذي يفرز لنا دائما رأيا صائبا الذي ينهض على أنقاض رأيين مختلفين للتواصل إلى نتيجة مرضية تؤدي في النهاية إلى شكل أو حل جديد"[4].

و نجاح المسرح الجامعي إنما يستمدّ قواه من خلق عمل مسرحي، يرتبط بمشاكل الإنسان وأزمات العصر وتحريض الطلبة على أن تصبح كائنات مفكرة وفاعلة في آن معا، وكما يقول 'حفناوي بعلي'، فإن الممارسة والاداء والفعل التجريبي المسرحي يشكل مع النظرية والنقد الفني الجمالي علاقة المسرح بالجامعة، هذه العلاقة المستمرة والمتجددة ابدا، على مستوى الجامعة ومعاهدها العالية والمتخصصة في الفنون الدرامية، يتم التنظير والتنوير للفعل وللحراك المسرحي، فههنا تدرس النظريات المسرحية والمدارس وتتشكل المناهج واساليب وطرق التحليل والاشكال الفنية في علاقتها مع المشهد المسرحي العالمي.

يبدو ان علاقة المسرح بالجامعة علاقة وطيدة وقائمة وذات عمق وآفاق، فالتحضير والعمل في قاعة الدرس، ما هو إلا مجرد تحضير الممثل أمام خشبة المسرح، لرفع الكفاءة وتفجير القوى وإنضاج الأفكار، و" علاوة على الحوار والتبادل الذي يشهده المسرح الجامعي فهو فضاء اعتراف وتعريف وتوثيق لقطاع الهواية والاحتراف، وذلك من خلال دعوة الفنانين للتدخل في ورشات التنشيط والتأطير ومن خلال دعوات الاحتفاء بأعمالهم والتنقيب فيها بالبحث والتوثيق"[5]، تُشكّل في ما بعد حلقات متداولة وتبادل للتجارب وتعلم واختبار تبدأ من المدارس والمختبرات والمراكز والاستوديوهات وأماكن أخرى في مقدمتها الجامعة ومعاهد الفنون.

المسرح الجامعي من تدريب الوعي إلى الاستشارة الاحترافية

يعتبر هذا النوع كمقاربة لمسرح الهواة بصفة عامة، له من المزايا والنقائض تعكس في مجملها جانبا هشا يفتقر للنضج، لكنه يحاول بشكل حيوي متجدد تطوير المدركات الحسية والأدبية والجمالية من أجل تدعيم نمو الطالب – بصفة فردية أو جماعية – و فهمه، و تكون الجامعة قد منحته قاعدة تأسيسية في تنمية الاحساس بالجمال وتدريب الطالب على التذوق السليم لكل ما هو جميل سواء اكان جمالا طبيعيا او ابداعا فنيا، وتعويده على الذهاب إلى المسرح والالتزام بتقاليد المشاهدة المسرحية سواء للفرجة والمتعة أو طرق باب الاحترافية واكتشاف المواهب وتنميتها، بالإضافة إلى تتويجه بالخبرة العملية في مجال المسرح، كما أن نشر الثقافة المسرحية داخل الجامعة وفتح المجال أمامه على المجتمع الخارجي وتكوين الأجهزة التعليمية، وفي مقدمتها قسم الفنون تخصص مسرحي، الذي يعمل على " مسرحة المناهج وذلك بتقديم المناهج التعليمية ومختلف المواد الدراسية من خلال عروض مسرحية مشوقة وبالتالي تصبح ميسّرة للفهم والاستيعاب"[6]، تدفع بالحراك المسرحي داخل المؤسسة التربوية عند إقامة ورش العمل وعقد محاضرات وحلقات تدريبية في الفنون المسرحية المختلفة، بتقديم الاستشارة الفنية والأدبية للمؤسسات العامة والخاصة، وتكون عندئذ قد حققت أعظم واجب وطني قومي، وتؤكد على صحة و سلامة خططها التربوية، " ثم إن الدور الوظيفي للمسرح الذي يقع على عاتق المدرسين، لإشباع الرغبات وإتاحة الفرصة للقدرات بالبروز والتحقق دون تدخل زجري يحد منها أو يكبتها ، وما يحدد الدور الآخر هي المضامين التي تأتي محملة بالقيم المجتمعية المرغوب فيها"[7]، للراغبين في اكتساب خبرة في العلوم والمعارف الأساسية المرتبطة بالمسرح.

يبقى عنصر التكوين والمتابعة من أهم العراقيل التي تحكم التكوين الأكاديمي للطالب الطامع في تكوين مسرحي محترف، على يد متخصصين يعملون على إكساب الطالب مهارات وتقنيات تتعلق بالأداء والتشخيص والتجسيد فوق منصة الركح، يعرضون فيه إبداعاتهم من لوحات وتصاميم سينوغرافيا وأزياء مسرحية وغيرها، في قالب فن الارتجال، أمام ناضري المتخصصين، فالتتويج الحقيقي هو إعداد فريق متماسك، للإحداث تواصل و تقليص الشرخ الذي يحدث بين الأكاديمي الدارس للمسرح والفنان الممارس، وخلق تواصل وتكامل بين أقسام المسرح في الجامعات العربية والمعاهد إضافة إلى استعراض تجارب أبرز الخبراء الأكاديميين في المسرح وكذا النقّاد والمخرجين الذين بوسعهم إثراء وتأطير التجارب التعليمية في مجال دراسة المسرح الأكاديمي الذي يفترض أن يستند إلى بنية تحتية مدروسة و ممنهجة تضع أسس الاختصاص في المسرح لأن هذا الأخير يقوم على نظريات ومدارس واتجاهات متنوعة في النصوص المسرحية والنظريات النقدية وأسس التمثيل ومدارس الإخراج، لكنّ المشكلة كما يقول واسيني الأعرج تكمن " في أن أغلب النقاد المسرحيين في معظم بلدان الوطن العربي هو: أكاديمي، لا ينشأ ضمن مناخ مسرحي بل فقط في محيط جامعي، ولأن كل اشتغاله يتم هناك، فيبقى نظريا يعطينا مجرد تصورات ونظريات وكتب، بينما يبقى الواقع المسرحي شيئا آخر، والحكمة تكمن في كيفية قيامنا بعملية تجسير تكامل بين المسرح كمسرح وبين الجامعات ونقدها، حتى يستفيد النقد من الجهد الأكاديمي، ويتمكن هذا الجهد في الوقت نفسه من الاستفادة من الحياة المسرحية الحقيقية[8]"، كما أن مراجعة المناهج التكوينية ينشأ من باب التحديث وقصد التماشي مع التغيرات السريعة، التي يعرفها التكوين الفني دون إغفال تغيرات المحيط والعقلية العربية، بوصفها أهم الآليات الواجب أن تكون منطلقا في المسرح الجامعي، يسهم في تحفيز الطالب وفتح مجالات تبادل الخبرات أمامه و تسويق أعمال وقضايا الطالب محليا وعربيا وعالميا، و التي لا تتأتى إلا من خلال معاهد التكوين وأقسام المسرح في الجامعة، التي تعتبر المكان الذي يتلقى فيه الطالب الدراسة التخصصية في مجال المسرح، وفيه يتم تبادل الأفكار وتقديم الأبحاث العلمية، مع الاهتمام بتنمية عملية الخلق والإبداع والموهبة، كما أن هذا التكوين الجامعي يلعب دورا

أساسيا في إحاطة فنون المسرح بالأطر العلمية والمنهجية والتربوية وفي صقل مواهب الطلبة وفق التخصصات الأدائية، واستثمار عقول كثيرة باختلاف تخصص الطلبة، يختلف فيها طرح انشغالات وقضايا الطالب من تخصص فلسفي وأدبي واجتماعي، وعلم النفس وغيرها، وتبدأ المساءلة عن فلسفة وضع الطالب في الجامعة بعروض مسرحية وخطاب نقدي يتم فيه التساؤل عن محيطه الدراسي و أوجه الاختلاف بيته وبين أقرانه وعن سبب اختياراته وميولاته الحالية ورغباته المستقبلية، وهل تم مراعاة هذا الاختيار السياق المعرفي والثقافي والفني والسياسي والاجتماعي للبنية التي يعيش فيها الطالب، وهل تم الردّ على طموحاته الفنية؟ حتى يستفيد فيها بطرق ابتكارية داخل بيئة جامعية، التي لها خصوصية، فتتكلم مسرحياتهم بألسن وإبداعات مختلفة يستفيد منها المتلقي، والذي هو في حدّ ذاته طالب جامعي، يمكن أن يكون كاتب مسرحي أو مؤلف روائي أو ممثل مسرحي في المستقبل.

3. تجربة البلدان في المسرح الأكاديمي:

لم يعد المسرح يكتفي باجترار الأساليب المستهلكة، بل أصبحت الحكومات والدول على جميع مستوياتها (القومية والإقليمية والبلدية) في روسيا وأمريكا وفرنسا والعراق والكويت ومصر والجزائر وغيرها، وبالرغم من المعيقات إلا أن بعض الأقسام في الفنون بالجزائر، يشتغل جل أساتذته وطلبته الفاعلين في التأطير العلمي كقسم الفنون بجامعة تلمسان وقسم الفنون الدرامية لجامعة وهران وقسم الفنون بجامعة الجيلالي اليابس بولاي سيدي بلعباس، لجل المهرجانات التي تقام داخل وخارج الوطن في الندوات والمحاضرات ومن خلال بعض الانتاجات المسرحية بالتأليف أو الاخراج والنقد، كما تعمل عمل على الدخول في مجال ابتكار برامج العرض وتظهر مساندتها ودعمها للفنون بشكل عام والمسرح بشكل خاص، من خلال احتضان أدوار مسرحية جامعية، تدريجياً فوق الركح وحتى على مستوى الكتابة الدرامية، حتى أمست إغراء بالنسبة للباحثين والدارسين، والملاحظ للواقع الغربي، عاميا كان أو متخصصا، يرى أن هناك بالفعل جوا عاما لاحترام الفن والعلم وحامليه من فنان أو أكاديمي والمتخصصين ماديا وأدبيا من الأسرة مرورا، بالشارع إلى مقاعد الدراسة وصولا للجامعات، مما يكسي الباحث والممارس للفن ثوب الالتزام والاحترام، على درجات" في الوقت الذي بدأت فيه مدارس المسرح في الانتشار وأصبحت فيه مناهج المسرح مترعرعة داخل الجامعات، تدعونا للتساؤل في نفس الوقت هل هذا الظهور والجولان نتيجة منطقية، للتوقف الذي أصاب المسرح، أم أنّه علامة من التطور للمجتمع المدني؟[9]"، أيا كانت الإجابة ، فهو لقاء فكري واعترافا بإنجاز الطالب في مجال المسرح الأكاديمي، بوفرة إنتاجه المسرحي ، فرض فيه ذاته منوها بأن يُرْفَدَ المسرح دائما بدماء جديدة، للوصول إلى العافية وإلى مظهر، فيه كثير من الحركة والتطور، فعند استقبالنا وقبولنا لجيل جديد من الموهوبين المبدعين نكون قد تزودنا بدماء جديدة، ترفدنا بأفكار وأشكال إبداعية، ووجود خليط متجانس من في مسرحنا من أجيال مختلفة يبعث نشاطا وحيوية فينا، تحفزنا لتبادل الخبرات والأحلام تتحقق فيه، بفكرة فنية مليئة بالأفكار الغنية وموشاً بالطريف وبأسلوب الارتجال، وهذه هي الحياة التي نعيشها بكل جوارحنا في رحاب المسرح، لذلك عندما تنتهي البروفات لا يفترق الطلاب على عكس فناني المسرح، بل يتابعون حواراتهم ويتبادلون أفكارهم وآراءهم واقتراحاتهم في جو عائلي مسرحي داخل المدرجات والأقسام ومن التخصصات المختلفة.

يظل المسرح الجامعي كوظيفة تكافلية على المستوى الأكاديمي، مختبئاً وراء الطقوس الاجتماعية وخاضعا للنظام الجامعي في مجمله، سواء أكانت التجربة التي نحن بصدد الحديث عنها عند العرب أو في الغرب، يستهدف الوصول لحقائق واضحة وتارة غامضة، في زمن العرض الذي يقبل إعادة النظر والشكّ، أو مؤكد وبديهي، ينتظر الكتاب والمخرجون والنقاد من ممارسيه، أن يكون لسان حال الطالب ويتحدث عن مستقبل المجتمع، الذي يستثني في عروضه على الأقل أبعاد توظيفه في الصفقات

السياسية أو التجارية، أو الخضوع لإكراهات الجمهور، الشيء الذي فسح للممارسين مساحات واسعة للإبداع وفي خدمة المغامرات الثقافية الطموحة، بالرغم من المهمة التي يراد له أن يمارس بها، أو كما يتمنى الطالب الجامعي أن يمارسه، بالصورة والطرح المتواضع الذي تم نسج فيه العروض المسرحية متأرجحاً بين التردد والجرأة في الطرح، باحترافية متواضعة.

تزامن المسرح الجامعي في الجزائر مع القطيعة الأولى التي فقدت فيها الممارسة الفنية الاتصال المباشر مع المتلقي داخل الجامعات في التسعينيات، وأحدث قفزة نوعية أصابت وجود تلك الهوة بين المسرح وجمهوره في بيئته، وأصبح عملا فنيا ترسخت معه عبر السنوات الماضية ممارسة، ليست نتاج لتطور داخلي خاص وبمجال فني معين في حرم الجامعة، بل جعل منه الطالب الممارس أمرا يتعلق بتعبيرات خارجية أصابت المجتمع في علاقته بالفن، لذلك ليس بغريب أن يؤثر على الدراسات النظرية والأكاديمية في مجال المسرح، باعتباره ظاهرة يتعين فهمه وتأويله وليس مجرد عملا يتم تقديمه، وإن تميز هذا المسرح على المستوى الإبداعي ضرورة ملحة بما يفجره البعد النخبوي، " لأنه يكشف لنا المؤسسة الجامعية من داخلها، باعتبارها تخلق أدوات رمزية عديدة تختفي وراءها، على أساس أنها أداة معرفة وتواصل فقط، وليس أبدا كأداة سيادة[10]"، حينما تؤدي وظيفتها لغرض السيادة وهيمنة طبقة على أخرى، وكما يقول الدكتور إقبال نعيم " إذا كان المسرح اهم وسائل تنمية المجتمع وتكوينه، واذا كان المسرح اسس عند الاغريق كثيمة ديمقراطية ووسيلة للكشف والاكتشاف للتطهير من الخوف والشفقة للتجاوز والانقلاب على المفاهيم العقيمة في أي مجتمع والارتقاء به ، الا انه ما بين الثقافة المؤدلجة وما بين حرية التعبير وارادة البناء والتطور، قتلنا الثالوث القاتل : السياسة والجنس والدين، وهذا ما عثر حركة المسرح العربي قاطبة، كان علينا أن نعرف كيفية توظيف تلك النظريات اجتماعيا من اجل النهوض بالمجتمع العربي"[11]، وبالرغم من الحديث عن إيجابيات المسرح الجامعي، إلا أنه يزكي العديد من المغالطات، باعتباره صمام أمان كذلك، و اختزاله من طرف الوزارة الوصية، على أنه مسرحا موسميا استعراضيا، هدفه استقطاب فرق مسرحية أجنبية تحط الرحال لتحصد الجوائز ويسدل الستار على مسرحية اسمها " المسرح الجامعي" ، مما يجعله يعاني من غياب دعم حقيقي من الجامعة ووزارة الثقافة وعدم انخراطه الفعلي في المنظومة التربوية الجامعية، " فالمسرح الجامعي هو النواة الحقيقية لتنمية المسرح في التنوير الاجتماعي وترسيخ المفاهيم الانسانية والحضارية وهو الاساس في صناعة فنان مسرحي واعي لدوره الاجتماعي ومتفرج واعي متذوق للمسرح وجماليته ووجوده كضرورة في التغيير الاجتماعي"[12]، ومساهمته في البحث العلمي الأكاديمي والارتقاء بالذوق وخلق الحرية والتواصل والانفتاح على العالم الخارجي، ليأخذ طابعا متميزا على جميع مستويات العملية المسرحية" فإذا كانت العقلية العلمية تتبلور عبر المؤتمرات العلمية والكتب والمنشورات الأكاديمية وغيرها الناشرة لها بطريقة موضوعية و واضحة، فإن الشعور الفني لا بد أن يمر عبر المسرح الهادف وصفا للواقع وإصلاحا له وترفيها كذلك [13]".

سؤال الهوية في المسرح الجامعي

إن الاعتراف بولادة المسرح الجامعي الجزائري متأثراً بالنصوص المسرحية ونظريات وبتجربة المسرح العالمي هي حقيقة تاريخية لا بديل منها، وضرورة لا غنى عنها في الحياة الفكرية والثقافية لطلبتنا الجامعيين، إلا أن البحث عن هوية ومميزات لمسرح جامعي جزائري معاصر، تتطلب فهماً موضوعياً لأسباب ظهوره وتطوره نظرا للظروف التي كان يعيشها مجتمعنا ونقص الخبرة الميدانية على مستوى الجامعة جعلت منه أقرب إلى التنظير وبعيدا عن تأصيله والبحث عن قالبه الخاص الذي يجعله مغايرا للمسرح الغربي ، بالرغم من المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي الموجود عند نخبة الأساتذة في الجامعة وعدم استثماره على ارض الواقع ليستجيب لهذه المتطلبات، بالرغم من وجود الأرضية الخصبة التي تتشارك فيها ظهور المسرح في البلدان العربية الأخرى وحينما

نقوم بدراسة هذه الظاهرة وفق هذا المنطق نستطيع الاستفادة من التجارب الناجحة وهو ما نحن بأمس الحاجة إليه دون إهمال خبرة المسرح العالمي، و ما أشرنا إليه لا يعني النقل الميكانيكي، إنما الانتقال ضمن مناخ واعي مستمر معاصر، والذي أحدث نوعا من القطيعة مع ظروف نشأة المسرح الجزائري العام، فحين أن النظر للظاهرة الإبداعية المسرحية، ينظر إليها كتمثيل وكتشخيص يحمل هوية وطنية متميزة من أجل مسرحتها والتي غاب فيها اليوم عن المسرح الجامعي أشكال ومظاهر الأسمار ومجالس المنذرين و المداحون والمقامات والحكواتي وسلطان الطلبة، إضافة إلى صورة المقاهي الشعبية بقدر من الأمثال الشعبية الجزائرية وقيم الجمال وغيرها بحيث يحولها الطالب الجامعي إلى مجموعة من الرموز والإشارات الفنية التي كلما تجلت على خشبة المسرح كلما ظهر الطابع الدرامي وجمالية الفرجة في التلقي وإثبات للهوية الجزائرية، " لأن المسرح من هذه الوجهة يشكل ذاكرة مادية مجسّمة للإنسانية كلها في عملها ونضالها وتطورها وتطلعاتها نحو مستقبل ونحو أرقى أشكال الوجود الاجتماعي ونحو أسمى تطور كامل للإنسان ولذاته"14

إن النصوص المسرحية الأولى في نشأة المسرح الجزائري توحي باهتمام المؤلفين بالتراث التاريخي العربي الإسلامي من خلال العناوين التي تدل على الانتقاء الجيد للأحداث ، والذي يغيب في المسرح الجامعي الذي بقي عليه طابع التقليد " ولم يعد التراث سوى وسيلة لنقد الحاضر " وعليه لا بد من عدم عزل الفن والمسرحية عن حركة المجتمع بل انخراطه في مشاكل العصر مع اقتراح الإمكانات والحلول التي تتيح للمسرح الحضور الفاعل والقدرة على التحدي والحفاظ على الهوية والخصوصية الثقافية من جهة ومن جهة إلى التفاعل مع التراث والتراث الشعبي والفكر الإنساني من جهة أخرى"15 وتقديم تراث الهوية والفن الجزائري على انه واقع جديد وحقيقة مبتكرة ، فلا حياة ولا استمرار لأمة بدون تراثها وموروثها الشعبي، وهذا ما لمسناه في التجربة المعاصرة في المسرح الجامعي وكأنها ابتعدت عن الإطار العام للنص المسرحي، فما ينقصه هو الوعي بحدوده الأخلاقية والحضارية التي ما زالت بحاجة إلى الصيانة والتحديد والتحصين، عن طريق الانتقال إلى تجسيد الحوار الميداني بين الأساتذة والطلبة الذين يؤمنون حقا بأن الأدوار التي يتقمصونها قادرة على قلب الكثير من الموازين السائدة و هذا ينطبق تماما على مقولة ستانسلافسكي، بأن على الممثل أن يؤمن قبل كل شيء فكل ما يجري على خشبة المسرح أضعاف ذلك ما يفعله هو فوقها، وما نلاحظه نحن كباحثين فأن التعبير عن روح الأمة عبر أي لون أدبي أو فني لا بد وان يتأسس من خلال القيم الجوهرية للشخصية الحقيقية لأي شعب، وهي ليست بالسهل كونها محصلة مساهمات عرقية وثقافية وفنية بكل جوانبها والتي تداخلت في شخصية الطالب على مر حياته ، وعلى هذه الحقيقة تأسست رؤية " المفكرين الذي يظهرون اهتماما كبيرا بتتبع جذورهم بحثا عن الروح الجماعية التي واجهت الإنتاج الإبداعي في مختلف بلدان القارة في سائر المجالات من شعر وفن قصصي ومسرحي وفكر فلسفي، وقد أسهموا بشكل ملتزم في التعبير عن روح شعوبهم بالرغم من الحضارات الوافدة إلا انها تحافظ على بصمتها وواقعها الثقافي لبلدها "16 ، فالبحث في ثنايا الانطلاق من جديد لاستحضار الشخصيات بهويتها الجزائرية بغية إرساء الجمالية الفنية التي تجمع بين التجريب والتأصيل والتأسيس في قالب واحد مثل ما قام به رجال الكنيسة في العصور الوسطى بدعم مسرحيات الأسرار والأخلاق كوسيلة لإدماج رسالة الكتاب المقدس، وإيمانا منها بأن المسرح الجامعي هو الوسيلة الأقوى فاعلية التي يمكن استخدامها من أجل تيسير عملية تحول متماثل من الفرجة وإضفاء المتعة إلى صناعة العقول والتأثير على الأنظمة، ولهذا السبب تنبه كتابهم أيضا إلى ما يحتله النشاط المسرحي المدرسي مكاناً رئيساً في مناهج التعليم منذ عصر النهضة كما يرى جوليان هلتون، ومن الطبيعي والجائز أن يكون المسرح الجزائري الجامعي اقتداءً بذلك و امتدادا للمهمة التي قام بها الرعيل الأول في التعريف بالشخصية

الجزائرية للرأي العام العالمي وحماية الشخصية الوطنية ومحاربة الآفات الاجتماعية، وأن يكتسب نفساً طويلاً وجديداً لمواصلة الدرب على طريق التحرر التام وتأسيسه كإجراء وطني ثوري يخدم الثقافة الوطنية والهوية الجزائرية.

إن المسرح الجامعي يساعد على التطهير النفسي والصحي والروحي والسلوكية من كل أنواع و أشكال التوترات والعوائق المترسبة جراء التربية العائلية و الاجتماعية التي تظهر في شكل خوف أو تردد أو توتر في الكلام كما يساعد في اكتساب معارف جديدة و رؤى متجددة للحياة المستقبلية و الاهتداء على شاكلة الغرب الذين " بالتعبير الذاتي عن تحديد هويتهم أمام ما من يقرأ أعمالهم كما لو كان الأمر يمسهم، منذ القرن التاسع عشر كوسيلة تعبير لإشكالية قومية وقارية عبر شخصيات وأحداث قومية هدفها مُوجه نحو إمكانية البحث عن خصوصيتهم وإعادة خلق واقعهم تاركين بذلك شهادة على العصر"17 و نحن لنا من تجارب الكاتب المسرحي و المخرج والفنان الجزائريين، ما يمكن لهاوي المسرح الجامعي أن يندمج في الاحتراف المسرحي انطلاقا من جزائريته على حدّ قول ألبيردي يجب على فلسفتنا أن تنبع من احتياجاتنا، فإقامة دورات تدريبية لبعض الطلبة الهواة في مختلف المعاهد والمسارح الجهوية والوطنية كفيل بأن يضمن عالم العمل الدرامي و تأليف الأعمال المسرحية و توفير الكوادر الفنية و تفعيل النص المسرحي، إذ يعتبر الطلبة أساس من أسس المسرح الأكاديمي حتى نمكن لهم التوفيق بين الدروس النظرية و التطبيقية في مجال التمثيل و الإخراج و مسرحة الحكايات و القصص و الحكايات الشعبية لترسيخ هوية العنصر البشري الذي تمتزج في عروقه دماء المجتمع الجزائري، عبر تنشيط التظاهرات الثقافية داخل أسوار الجامعة، والمشاركة في تسويق الثقافة الجزائرية في المنافسات و المهرجانات داخل الوطن وخارجه، مما يدل على أن البحث عن العالمية لا يمكن تحقيقها إلا انطلاقا من الإنسان ذاته ومن واقعه، ومن هنا يمثل المرحلة الأولى لطرح مشاكل الهوية سواء في الفن أو في المسرح على وجه الخصوص مما يزيد فعالية المسرح الجامعي في الحياة الثقافية الجزائرية.

الخاتمة:

بهذا العرض لمضمون المتن طرحنا مسألة هامة تلفت النظر وهي بداية المسرح الجامعي باعتباره أداة لصناعة الوعي ومن ثم الدخول إلى الاحترافية ولصناعة الفرجة والبحث عن الهوية في المسرح الجامعي والالتزام القومي والاجتماعي من جانب الفنانين و المسرحيين لتحقيق الخصوصية محاولين الالتماس الأصالة في النزعة حتى نتمكن من التمييز عن الثقافات الأخرى وحضور طابعنا الجزائري كعنصر هام وحاسم في الشخصية الجزائرية في منظومة أكثر شمولية وثباتا انطلاقا من واقعنا الملموس لأن تمثلاته واضحة كوسيلة تعبير والنجاة بخصائص ومقومات التراث الجزائري وبذلك يتحول الطلبة من مجرد جمهور مسرحي وهواة وممارسين إلى أبطال ومحترفين حقيقيين لمسرحهم الذاتي، أي يتحولون إلى عامل مشارك ذاتي وملتزم بقضاياه ، فلقد عكف الكتاب والباحثين على ابراز بواعث تجعل المبدع يهتم بالهوية ويقوم بتوظيفها واستنطاقها من لوحات تشكيلية أو قصص وروايات، بوصف الفنون حصنا منيعا تواجه به الدول مخاطر طمس تراثها وإتلاف معالم هويتها التي تهدد كيانها القومي خصوصا في فترات الهزات الكبرى التي تضعف كيان الأمة فيخيم عليها الحساس بالإحباط والضياع فتكون تجربة المسرح الجامعي أداة تعوض ذاك الشعور بالنقص ودفاعا لعودة الثقة بالنفس ، وذلك بالبحث عن سبل تعزيز العروض المسرحية بالإحساس القوي بالشخصية القومية لأمتها وأصالتها بغرض الاستقلالية والتميز، ذلك أن وجود الهوية في العمال الفنية تكمن في مدى ما يعطينا المبدع سواء اكان هاوي او

محترف وما يقدمه لتفسير الواقع وهذه الموازنة بين الأصالة والمعاصرة، تفرض عليه الاطلاع الجيد على تاريخ مجتمعه في كلياته وجزئيته والظواهر المادية والروحية مع الوعي التام بحقيقة وجوده، وكما يقول عبد الرحمان بن زيدان أن لكل نص جديد حقيقة لنص قديم ، ولهذا نجد على بساط بحثنا هذا طرح واقع تغيير الكتابة المسرحية المعاصرة وتطويرها في المسرح الجامعي للبحث عن مغامرة إثبات هويتنا واتاحة للطالب فرصة متفردة عبر سياق تمثيلي يجسد كل شخصية في النسيج الدرامي، لأن الاختلاط الحاصل بين النظريات والمدارس والمذاهب التي وضعها كتاب المسرحيات العالمية ، تجعله يعتمد باستمرار على عدد من البنى الفنية التي تكاد تمحي ملامحه الأصلية، وهي تجربة إيجاد مرحلة تجمع بين التقليد والتجريب .

وعلى العموم فإنَّ الخوض في شرعية البحث في المسرح الجامعي الجزائري وهوية الطالب في مسببات هذه الشرعية يطول ويمتد إلى تفصيلات أخرى.. ، ظاهرة محاكاة أشكال تراثية سواء بالاستدعاء الحرفي الضيق أم بالتوظيف الخلاَّق لتراثنا الجزائري لا غاية بذاتها تتوقف عنده عجلة الإبداع و مسيرته، ثم إنَّ مبدعي المسرح الجامعي الآن يمتلكون الإمكانات الجدية للنهوض بهذه المهمة على أتمٍ وجه إذا ما توافرت لهم ولتجاربهم فرص الدعم الكافية، وعقد حلقة نقاش بين عناصر العمل الفني جميعاَ وبين النقّاد الأكاديميين، و تواصل النتاج المسرحي فضلاً عن إمكانات استثمار الفروع الدراسية المتخصصة و الدوريات الصحفية.

التهميش:

1- عبدالله أبو هيف، المسرح العربي المعاصر قضايا ورؤى وتجارب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2002، ص 228

2- حافظ جديدي، بانوراما المسرح الجواري بتونس، كتاب جماعي حول الملتقى العلمي المسرح والمحيط الاجتماعي : التأثير والتأثر: 27/28/29/ ماي 2008، محافظة المهرجان الوطني للمسرح المحترف، وزارة الثقافة، الجزائر، ص32.

3 جروة علاوة وهبي، ملامح المسرح الجزائري، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، شارع ديدوش مراد، الجزائر، 2004، ص 7

4 عدنان رشيد، مسرح بريشت، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1988 ، ص79

5- حافظ جديدي، بانوراما المسرح الجواري بتونس، مرجع سابق، ص 36

6- عمرو دوارة، المسرح والمنظومة التعليمية، كتاب جماعي حول الملتقى العلمي المسرح والمحيط الاجتماعي : التأثير والتأثر: 27/28/29/ ماي 2008، محافظة المهرجان الوطني للمسرح المحترف، وزارة الثقافة، الجزائر، ص ص138

7-سالم أكويندي، ديداكتيك المسرح المدرسي، ط01، السلسلة البيداغوجية، رقم 15، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 13.

8 جريدة السلام، سارة عدلي ، مقال بعنوان 'الحكمة في تجسيرنا لتكامل بين المسرح والنقد الأكاديمي'، حوار مع واسيني الأعرج، في 2012/08/22،

9 جوزيت فيرال، ترجمة جيهان عيساوي ، نظرية وممارسة المسرح فيما وراء الحدود، ص13.

10 عبد الرحيم بن بوشعيب مفكير، المسرح المغربي والجامعة: النشأة، القضايا والآفاق، مقال http://www.alislah.ma، تاريخ الولوج 06/12/2018.

11-إقبال نعيم، المسرح الجامعي العراقي بين النظرية والتطبيق، كتاب جماعي حول الملتقى العلمي المسرح والمحيط الاجتماعي : التأثير والتأثر: 27/28/29/ ماي 2008، محافظة المهرجان الوطني للمسرح المحترف، وزارة الثقافة، الجزائر ، ص200

12- إقبال نعيم، مرجع نفسه، ص 201

13 بن محمد يونس، الفيلسوف الملتزم وتحرير الإنسان، مجلة :تطوير العلوم الاجتماعية، 2017، جامعة الجلفة .الجزائر مجلد 10 :عدد03

14 عبد الرحمان بن زيدان ، أسئلة المسرح العربي ، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ، 1987، ص 57

15 إدريس قرقوى ، الطقوس والشعائر الاحتفالية في النص المسرحي الجزائري، عدد خاص للبرنامج الوطني للبحث: الثقافة والحضارة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية ، الجزائر، 2014 ، ص 265

16 كارلوس ميجيل سواريث راديو، ترجمة نادية جمال الدين، أساليب ومضامين المسرح الإسبانو أمريكي المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 1999، ص 06

17 كارلوس ميجيل سواريث راديو، مرجع سابق ، ص 7.